اسبانيا بانتظار رياح التغيير العاصفة :

نظام الحكم الديكتاتوري يزداد تصلبا في أيامه الأخيرة

تحالفات سياسية على جبهة المعارضة استعدادا للمرحلة الانتقالية

● في الشهر الماضي صدرت صحيفة اي. بي. سي. الاسبانية الملكية الاتجاه ، وقد ابرزت مقالا مثيرا بعنوان شديد البساطة : « الحياة في اسبانيا » . وتحت هذا العنوان سجل الكاتب عدة ملاحظات تعطي صورة عن الحياة في اسبانيا اليوم . وهي ملاحظات مستقاة من انباء الصحف الاسبانية ليوم واحد : « اغلاق مصانع فايرستون — طرد ٢٢٠٠ عامل بالقوة من المعمل » . اكثر من ٦٠٠ شخص يوقعون بيان استنكار لاعتقال دوناتو فويخو « من منظمة الطغمة الديمقراطية التي تشكلت حديثا » . « ٢٣٧ من الشبيبة المنظمة يرفضون التجنيد » ٣٥٠ محاميا يطردون من جامعة فالنسيا » . اعتقال ٥ من الكهنة في نافاران » . « كاردينال اشبيلية يزور معملا عماله مضربون » . « محاكمة عسكرية لاربعة جنود » . « سجناء ليريدا يضربون عن الطعام » . «العمال في جيجون يقبلون طوعا بالسجن» . « مزارعو العنب يواصلون اضرابهم في سانلوكار » « اضراب في وزارة الاسكان في مورسيا » . الخ ... (!)

هذه هي الحياة اليومية في اسبانيا حاليا . باختصار : غليان سياسي يشتد يوميا كلما اقترب موعد غياب الجنرال فرانكو عن الساحة الاسبانية. بعد ٣٦ عاما من الحكم الديكتاتوري الذي فرضه فرانكو لم يعد من الممكن على ارباب نظام الحكم القائم تقليد النعامة بوضع رؤوسهم في الرمال واقناع انفسهم بان رياح التغيير لم تصل بعد الى اسبانيا . ولهذا بينما تستعد كافة قوى المعارضة من اقصى اليسار الى الوسط الليبرالي للحظة الخلافة الاسبانية يستعد ارباب النظام من اجل ان تمر هذه اللحظات الانتقالية « بسلام » بالعمل من اجل احتواء قوى التغيير وتقليم اظافرها حتى لا تستولي على زمام المبادرة وتحاول ان تجعل من عملية الخلافة عملية تغيير حقيقية .

وفي هذا الوقت بالذات تتوجه انظار المعارضة الاسبانية الى البرتغال . انها تعتبر ما يجري هناك شديد الاهمية بالنسبة لهم في اسبانيا ، على اساس ان ما يجري في البرتغال منذ اسقاط نظام الحكم الديكتاتوري فيها هو بمثابة تجربة لما لا بد وان يحصل في اسبانيا قريبا . ويقول البروفسور تيرنو غالفان رئيس « الحزب الاشتراكي الشعبي » الممنوع : « ان البرتغال شديدة الاهمية بالنسبة لنا . واذا ما سارت الامور معهم سيرا حسنا فان هذا يفيد صورة المعارضة عندنا . واذا لم نفعل فان هذا سيجعل وضعنا اكثر صعوبة . ولكن البرتغاليين لم يكونوا مستعدين بينما نحن مستعدون » .

اما الاستعداد الذي يتحدث عنه البروفسور تيرنو فهو عملية انشاء منظمة « الطغمة الديمقراطية » في الصيف الماضي . وهذه المنظمة تضم « الحزب الاشتراكي الشعبي » و « الحزب الشيوعي » وبضعة مجموعات من الوسط الليبرالية الاتجاه . وهي بالطبع منظمة سرية لانها ممنوعة ، ولكنها ناشطة في انحاء اسبانيا برغم ان السلطة قد تمكنت من اعتقال العديد من القياديين فيها . وقد تشكلت هذه المنظمة بهدف جمع القوى المعارضة المطالبة بالتغيير في جبهة واحدة قوية فاعلة . ويدعو برنامجها الى المصالحة الوطنية واجراء الانتخابات العامة الحرة بعد رحيل الجنرال فرانكو .

وكان من الطبيعي ان ترد الطبقة العاملة على تشكيل هذه المنظمة باكثريتها اليسارية استعدادا للمرحلة الجديدة القادمة ، بتشكيل منظمة باسم « المؤتمر الديمقراطي » وتضم المجموعات الليبرالية من الوسط والمسيحيين الديمقراطيين اليمينيين ، وهي تتمتع بالتأييد الضمني من الحكم القائم الذي ينعكس في الموقف المتسامح الذي تظهره السلطة تجاهها .

ان حمى التنظيمات السياسية الحالية تعكس قناعة كافة الاطراف في البلاد بان سنة ١٩٧٥ هي « السنة الانتقالية » لاسبانيا — برغم اختلاف وجهات النظر حول الطريقة التي ستتم بها [..] اللحظة . اما الاحداث التي ساهمت في [..] الحاصل في الساحة السياسية فهي عملية [..] كاريرو بلانكو قبل ١٤ شهرا ، والانقلاب العسكري في البرتغال ومرض الجنرال فرانكو لمدة شهرين في الصيف الماضي ، وتشكيل التحالفات السياسية على جبهة المعارضة الواسعة .

فقد كان اغتيال الاميرال بلانكو رئيس الوزراء على يد ثوار اقليم الباسك في السنة الماضية [..] لنظام حكم الجنرال فرانكو ، الذي كان ينظر [..] بلانكو على انه الرجل الحديدي القادر على [..] اسبانيا « بسلام » بعد انتقال الخلافة الى [..] خوان كارلوس ، الذي سيصبح ملكا على اسبانيا بعد فرانكو !

فاغتيال رئيس الوزراء بلانكو دون وجود البديل الملائم له قد ادى الى تسارع الاحداث في [..] فقد اعلن خليفته رئيس الوزراء ارياس نافارو برنامجا ليبراليا في شهر شباط الماضي كخطوة لامتصاص النقمة المتزايدة من المعارضة . ولكنه واجه ردة فعل عنيفة من الكتائب التنظيم السياسي الوحيد المشروع في البلاد ، وقد نجحوا في منع تنفيذ الاصلاحات التي تضمنها ذلك البرنامج كذلك نجحوا في تعطيل القانون الهام المتعلق بحق التجمع والتنظيم السياسي ، مما ادى في حينه الى استقالة وزيرين من الحكومة احتجاجا. وبدا واضحا ان الجنرال فرانكو عوضا ان يسمح باجراءات ليبرالية وقد قارب حكمه على النهاية ، قد اصبح اكثر تشددا وتصلبا في ديكتاتوريته . وعلى سبيل المثال ، فقد جرى اعتقال عدد من اعضاء منظمة الطغمة الديمقراطية ، وادين ثمانية من الصحافيين بتهمة حضور مؤتمر صحافي غير مشروع ، وهناك محاكمات تجري لصحافيين اخرين ولطلاب ولنقابيين عماليين وكهنة ناشطين في العمل السياسي المعارض والثوري في المناطق الصناعية من البلاد بصورة خاصة . فمن فوارق الامس واليوم هناك ، ان ديكتاتورية السلطة لم تعد رادعا للمعارضة . [..] ان المعارضة بدات تخرج الى العلن وتفرض على السلطة الاختيار بين اعتقال عناصرها وزجهم في السجون وبين تركهم يجاهرون بمعارضتهم وبمطالبهم .

وفي جو الاستعدادات المختلفة لمختلف القوى للمرحلة القادمة يبرز الحزب الشيوعي الاسباني كافضل قوة منظمة في اسبانيا . وما يزال [..] الحزب سانتياغو كاريللو يسيطر على [..] الحزب المؤلفة من ٢٤ عضو ، برغم كونه [..] منذ سنة ١٩٣٩ . وكما في البرتغال ، فان [..] الحزب الرئيسية هي في النقابات العمالية — [..] في اسبانيا « لجان العمال » الممنوعة . [..] وفي الوقت نفسه فان الحزب الشيوعي الاسباني [..] اكثر الاحزاب الشيوعية في اوروبا الغربية [..] . فبرنامج الحزب يدعو الى تشكيل الاحزاب السياسية المتعددة ، كما يدعو الى تعدد النقابات العمالية . ويبرر كاريللو برنامج الحزب الليبرالي الطابع بقوله : « اذا كنا معتدلين فان هذا يعود الى كون هذه هي الطريق الوحيدة لاسبانيا اليوم. ويجب ان لا يكون هناك لا اجتياح القصر الشتوي ، ولا مسيرة ماوتسي تونغ الطويلة ولا عصابات غيريلا كاسترو في الجبال ... » (!)

اكثر من ذلك فان كاريللو « لا يستطيع ان يفهم » سياسة الولايات المتحدة تجاه الشيوعيين الاوروبيين الغربيين . وهو يقول : « ان على الولايات المتحدة ان لا تمنع مشاركة الشيوعيين في الحكومات الاوروبية . لانها كلما امعنت في هذا الموقف كلما زادت نفوذ الشيوعيين الموالين لموسكو » (!)

ولكن مع ذلك ، ورغم ان هذا هو موقف قيادة الحزب الشيوعي الاسباني فان كل من المعارضة وارباب النظام لا يستطيعون التكهن بالطريق التي ستسير عليها الاحداث عند قدوم لحظة الخلافة وبدء المرحلة الانتقالية الى اسبانيا — ما بعد فرانكو . فهناك اكثر من سيناريو واحد لما يمكن ان يحدث .

فالسيناريو الاول والذي يؤيده الاصلاحيون في النظام سيكون بان يتسلم الامير خوان كارلوس السلطة بالتأييد الكامل من المؤسسات الحاكمة القائمة ، اي الشرطة والحرس الوطني والجيش ، ومن ثم يباشر في تفكيك قبضة الديكتاتورية .

والسيناريو الثاني يتصور ان وفاة فرانكو ستدفع بالمجموعات المعارضة المتحالفة الى الواجهة (مثل « منظمة الطغمة الديمقراطية » و « المؤتمر الديمقراطي ») حيث تظهر قوتها الحقيقية ، وتجبر الملك الجديد على التفاوض معها ...

اما السيناريو الثالث فهو الذي يتصور انتفاضة شعبية عارمة في انحاء البلاد وتظاهرات عنيفة تصل حدود الثورة ، وربما تدفع الجيش الى التدخل والاستيلاء على السلطة — الامر الذي يعني استمرار الفرانكوية حتى بعد رحيل فرانكو ، لان الجيش الاسباني جيش محافظ على عكس الجيش البرتغالي الذي خاض عملية الوعي السياسي وهو يشن حربا استعمارية عنصرية في افريقيا .

ومع ذلك فان اكثرية المعارضة على قناعة بان التناقضات القائمة هي من الحدة بحيث ان اية حركة اصلاحية ستفشل منذ البداية لان الاوضاع في اسبانيا في ظل حكم رجعي ديكتاتوري يجثم على صدر الشعب الاسباني منذ ٣٦ عاما ، لن تتحمل ما هو اقل من التغييرات الجذرية ، بينما السياسة الاصلاحية لن تكون اكثر من عملية ترقيع تفشل في احتواء قوى التغيير .

●

تشاد : فرولينا تنمو..

● ركزت عادة جبهة التحرير الوطني التشادي (فرولينا) في نشرتها الاعلامية بالرد على الحملات الاعلامية المضللة التي شنها نظام حكم تومبلباي الرجعي التابع ، لضرب معنويات الثورة المسلحة المتنامية في تشاد ، بعدما مني بالفشل الذريع في محاولاته المتواصلة لقمع الثورة بمساعدة الامبريالية الفرنسية بصورة خاصة .

فقد عمدت ابواق النظام الاعلامية الى نشر الاكاذيب حول تراجعات مزعومة لمقاتلي جبهة « فرولينا » ، والتحاقهم الى صفوف الموالين للسلطة ... (!)

وكان الرئيس تومبلباي قد سافر الى فرنسا في شهر مارس الماضي لطلب العون والمزيد من السلاح ومن العون العسكري الفرنسي ، وخاصة لتقوية القوات الفرنسية في تشاد . وهو الذي كان قد جاهر في سنة ١٩٦٩ قائلا : « انا لا احتمل ان اصرح علنا الى انا وانا وحدي ، قد طلبت من فرنسا ان تأتي وتعيد النظام الى تشاد » .

وقد اكد ظهور عناصر من المقاتلين الاجانب في شرقي البلاد منذ شهر كانون اول ١٩٧٤ ، نجاح الرئيس تومبلباي في تحقيق اهداف زيارته الخاطفة تلك لفرنسا . اكثر من ذلك فقد عقد عدة اتفاقات لتدريب قواته من الشرطة ، وللحصول على مساعدات عسكرية سرية ، مع عدة دول افريقية ، لتعزيز قواته في مواجهة جبهة « فرولينا » التي تسود الشمال الصحراوي في تشاد منذ اكثر من ثماني سنوات .

القواعد الاميركية في اسبانيا

امتنعت وزارة الخارجية الاسبانية عن التعليق بالتأكيد او بالنفي على تقارير صحافية ذكرت بان مدريد قد طلبت من الولايات المتحدة الخروج من القاعدة العسكرية الجوية قرب مدريد . وهذا الرفض بالتعليق بحد ذاته يؤكد صحة ما ذكر عن رغبة الحكومة الاسبانية بالتقليص من الوجود العسكري الاميركي في اسبانيا ، في هذا الوقت بالذات الذي تعيش فيه اسبانيا حالة غليان سياسي .

وهذا الطلب الاسباني يجيء في وقت تجري فيه المحادثات بين الطرفين لتجديد الاتفاقية الدفاعية بين البلدين . ويقال ان الحكومة لم تمانع في انتشار هذه الشائعات لانها تامل بان يساهم هذا الطلب في تخفيف حدة المعارضة الاسبانية لتجديد الاتفاقية الدفاعية مع الولايات المتحدة .

وقد ذكر مصدر مسؤول في مدريد بان رئيس الوزراء كارلوس ارياس قد طلب من واشنطن التخلي عن قاعدتها الجويتين في كل من توريخون ، ومورون في جنوب اسبانيا ، على ان لا تؤثر ذلك لوجودها العسكري المشترك مع اسبانيا في القواعد الاخرى. واضاف المصدر ان مثل هذا الانسحاب الجزئي الاميركي من شانه التخفيف من الوجود العسكري الاميركي البارز في اسبانيا في هذه الظروف الاسبانية بالذات .

واذا ما انسحبت القوات الاميركية من قاعدة توريخون فان قاعدتها الجوية في سارागوسا ستصبح القاعدة الاميركية الرئيسية في اسبانيا . وهناك في هذه القاعدة ما بين العاصمة وبرشلونة ، حوالي ٨٠٠ من سلاح الجو الاميركي . وكان البنتاغون قد اعاد تنشيط هذه القاعدة من بعد خسارة قاعدة « هويلس » الاميركية في ليبيا ، اثر الانقلاب الذي اطاح بنظام حكم السنوسي الرجعي.

اما في قاعدة توريخون فهناك حوالي ٤ الاف اميركي يديرون هذه القاعدة الاميركية الرئيسية ، والتي لعبت دورا هاما في الجسر الجوي الاميركي الى اسرائيل خلال حرب تشرين ١٩٧٣ العربية — الاسرائيلية ، فقد كانت الطائرات الاميركية تتوقف في هذه القاعدة لتتزود بالوقود — وبرغم رفض اسبانيا السماح للولايات المتحدة استخدام قواعدها في اسبانيا لمساعدة اسرائيل (!) .

ولكن انسحاب الولايات المتحدة من توريخون والانتقال الى قاعدتها في سارागوسا لن يؤثر على الوجود العسكري الاميركي في قاعدة روتا على مدخل الاطلسي الى المتوسط . فهذه القاعدة في روتا هي قاعدة للغواصات النووية الاميركية ، وهي تعتبر احدى اهم القواعد الاميركية في العالم ، وفيها حوالي ٤ الاف من جنود البحرية الاميركية ، بالاضافة الى مطار عسكري ومنشآت سرية شاسعة.

وموقف الحكومة الاسبانية الجديد من القواعد الاميركية على اراضي اسبانيا ، ورغبتها في تمويه هذا الوجود ، يعكس مخاوف هذه الحكومة من ان يصبح هذا الوجود العسكري الاميركي قضية سياسية ، رئيسية للمعارضة الاسبانية القوية في الوقت الذي تسعى فيه حكومة ارياس نافارو تمهيد الطريق لعملية انتقال السلطة من الجنرال فرانكو الى خليفته المعين ، الامير خوان كارلوس .